

<d v style="text-align: right; font-weight: bold;"><d v style="text-align: center;">العطرة السيرة على أضواء</d v>في
بقلم
حزة على الوصيف</p>
ر العاشر من رمضان</p>
<p>به الإسلام والمسلمين، وأرغم به أنوف المشركين.
كان من أسباب هذا الفتح المبين معاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقريش، والتي عرفت بصلح الحديبية، وكان من بنود تلك المعاهدة أن من شاء دخل في حلف قريش ومن تبعها، ومن شاء دخل في حلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبعه فدخل بنو بكر في حلف قريش ودخلت خزاعة في حلف رسول الله صلى الله عليه وسلم، غير أن بني بكر نقضت عهدها وقالت خزاعة وعاونتها قريش على ذلك بالمال والسلاح، فأرسلت عمرو بن سالم إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليخبره بذلك، ويطلب منه العون عليه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (نصرت يا عمرو بن سالم).
أحست قريش بما اقترفته من جرم ونقض للعهد، فأرسلت أبا سفيان بن حرب إلى المدينة، عله يستطيع تسوية الخلاف، والإبقاء على المعاهدة، لكنه فشل في تحقيق ذلك، فذهب إلى ابنته (أم حبيبة بنت أبي سفيان) أم المؤمنين لعله يجد عندها شفاعة لدى النبي صلى الله عليه وسلم، لكنها أبت أن تجلسه على فراش النبي صلى الله عليه وسلم وقالت له: إنك نجس ولا يجلس النجس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها: ما أظن إلا أنه قد أصابك بعدي شر.
أمر النبي صلى الله عليه وسلم الناس أن يتجهزوا، وأمر أهله أن يجهزوه، ثم أخبر المسلمين أنه سائر بهم إلى مكة، فتجهز المسلمون، ودعا النبي صلى الله عليه وسلم ربه أن يخفي أمره على قريش حتى يبايعتهم في بلدهم، لكن حاطب بن أبي بلتعة كتب إلى قريش كتاباً يخبرهم باستعداد النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين للقاءهم، وأعطى الكتاب لامرأة وجعل لها جعلاً (أجراً) على أن تبلغ قريشاً بالكتاب، فجعلته في قرون رأسها (في شعرها)، وانطلقت تريد مكة، فأخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بصنيع حاطب، فبعث علياً والزبير رضي الله عنهما لياتياها بالكتاب، وقد حدد لهما مكان المرأة، فأتياه بالكتاب، ودعا النبي صلى الله عليه وسلم حاطباً وقال له: ما هذا يا حاطب؟ فقال حاطب: لا تعجل علي يا رسول الله، والله إني لمؤمن بالله ورسوله، وما ارتددت وما بدت، ولكنني كنت إمراً ملصقاً في قريش ولست من أنفسهم، ولي فيهم أهل وعشيرة وولد، وليس لي فيهم قرابة يحمونهم، وكان من معك لهم قرابات يحمونهم، فأحببت إذ فاتني ذلك أن آخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي، وأراد عمر بن الخطاب أن يأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم في ضرب عنقه ظناً منه أن حاطباً قد نافق، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: دعه يا عمر فإنه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله أطلع على قلوب أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم.
ومضي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صائم والناس صيام حتى إذا كانوا بالكديد أفطر، وأفطر الناس معه، ثم مضى حتى نزل مر الظهران، ومعه عشرة آلاف جندي، وعمى الله الأخبار عن قريش، وبينما كان أبو سفيان كعادته خارجاً يتحسس الأخبار ومعه حكيم بن حزام، وبديل ابن ورقاء هالهم ما رأوا، فعندما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مر الظهران كان الوقت عشاء، فأمر الجيش فأوقد النيران، فأوقدت عشرة آلاف شعلة من النار، وجعل النبي صلى الله عليه وسلم على الحرس عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فلما رأى أبو سفيان النار قال: ما رأيت كليليلة نيراناً ولا عسكرياً قط، فقال بديل بن ورقاء: لعلها خزاعة قد خمشتها الحرب، وكان العباس بن عبد المطلب قد خرج في أهله مسلماً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما سمع أبو سفيان عرفه، فقال له: يا أبا سفيان هذا رسول الله في الناس، واصباح قريش والله. قال فما الحيلة؟ قال العباس: والله لئن ظفرك ليضربك ليضرب عنقك، ولكن ارتد خلفي على هذه البغلة حتى أستامن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فركب خلفه، ورجع صاحبه اللذان كانا معه، وكلما مرا على نار من نيران المسلمين قالوا من هذا، فإذا رأوا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليها العباس قالوا: عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته حتى مرا بنار عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فلما رأى أبو سفيان رديف العباس قال: أبو سفيان، عدو الله، الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد ثم خرج يشد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم.
دخل العباس ومعه أبو سفيان على النبي صلى الله عليه وسلم، وتبعهما عمر، فقال يا رسول الله هذا أبو سفيان فأذن لي أن أضرب عنقه، فقال العباس قلت يا رسول الله إني قد أجزته، ثم جلست إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخذت برأسه فقلت: والله لا ينجيه اليوم أحد دوني، وما زلت برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قال: اذهب به إلي رحلك فإذا أصبحت فأتني به، فلما أصبحنا غدوت به إليه، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ويحك أبو سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله؟ قال: بآبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، لقد ظننت أنه لو كان مع الله إله آخر لقد أغني شيئاً بعد، قال النبي صلى الله عليه وسلم: ويحك ألم تعلم أني رسول الله؟ قال: بآبي أنت وأمي، أما هذه ففي النفس حتى الآن منها شيء، فقال له العباس: ويحك أسلم وأنطق بالشهادتين قبل أن تضرب عنقك، فأسلم أبو سفيان، وشهد شهادة الحق، فقال العباس: يا رسول الله إن أبو سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن.
أمر النبي صلى الله عليه وسلم العباس أن يحبس أبو سفيان عند حطم الجبل حتى تمر عليه جنود الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيراها فيخبر قومه، ففعل، ومرت القبائل على راياتها، كلما مرت قبيلة سألت العباس عنها فكان العباس يخبره عن اسمها، حتى مر به رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتبيته الخضراء، فيها المهاجرون والأنصار، لا يري منهم إلا الحدق من الحديد، فقال أبو سفيان: سبحان الله يا عباس من هؤلاء؟ قال: قلت هذا رسول الله في المهاجرين والأنصار، قال: والله لا لأحد قبل هؤلاء ولا طاقة، ثم قال: يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيماً، قال: قلت يا أبا سفيان إنها النبوة، فقال أبو سفيان: فنعم إذا.
ذهب أبو سفيان إلى قومه وأخذ يصيح فيهم ويقول يا معشر قريش لقد جاءكم محمد صلى الله عليه وسلم بما لا قبل لكم به ولا طاقة، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، قالوا: وما تغني عنا دارك قال: ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، وهو ما يعرف بلغة عصرنا بحظر التجوال منعاً للصدام والمواجهة.
عج) يقول وهو الأضنام يحطم وسلم عليه الله صلى النبي وأخذ، المشركين الشرك أدران من مكة يطهرون المنهمر كالسيل المسلمون دخل
الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً) [الإسراء: 81] ثم دعا عثمان بن طلحة، وكان حاملاً لمفتاح الكعبة فأخذ المفتاح، ودخل الكعبة فحطم ما كان فيها من تماثيل وتساوير، ثم دار في نواحي البيت وهو يكبر في كل ناحية، ويوحده ويهلل، ثم فتح الباب، فرأى قريشاً وقد ملأت المسجد الحرام صغافراً ينتظرون ما يصنع بهم، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بعضادتي الباب وهم أسفله، فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، إلا كل ماثرة أو مال أو دم فهو تحت قدمي هاتين، إلا سدانة البيت، وسقاية الحاج، إلا وقتل الخطأ شبه العمد، السوط والعصا فيه الدية مغلظة، مائة من الأبل، أربعون منها في بطونها أولادها، يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس من آدم، وآدم من تراب، ثم تلا قول الله عز وجل (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُرُكًا لِلَّذِينَ اتَّكَفَرُوا وَلَقَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْهَوْنَ عَنْ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) [الحجرات: 13]، ثم قال: يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم، قال: فإني أقول لكم كما قال يوسف لأخوته: لا تثريب عليكم اليوم، اذهبوا فأنتم الطلقاء، وهكذا فرحت قريش بالإسلام وفرح الإسلام بها، إذ وسعهم عفو رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد كثرة إيذائهم له.
في هذه الغزوة العظيمة تجلت عظمة الإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم في عدة أمور:
1- وفاء النبي صلى الله عليه وسلم بالعهد للمشركين وعدم نقضه حتى نقضوه.
2- دفاعه عن حلفائه الذين حالفوه على النصرة كما حدث مع خزاعة.
3- موقفه الكريم من حاطب بن أبي بلتعة الذي ارتكب في حق المسلمين ما يعرف اليوم باسم (الخيانة العظمي) وعفوه عنه لقاء بلائه وقاتله أهله وعشيرته في غزوة بدر.
4- عفوه عن أهل مكة، وتناسيه لما كان منهم من إيذاء طيلة الفترة السابقة.
5- أن النبي صلى الله عليه وسلم هو أول مبتكر للحرب النفسية وذلك بأمره للمسلمين بإشعال النيران في أماكن متفرقة لإضعاف روح العدو المعنوية.
وبعد فما أحرى الذين يعملون من أجل الإسلام ورفع رايته أن يتحلوا بالصبر، وأن يتقوا الله ويتقوا فيما عنده، وأن يتخذوا من الزمن جزءاً للعلاج، فإن الذين يتعجلون قطف الثمار قبل أن نضجها قوم في حاجة إلى ترشيد، وفي الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (كن بما في يد الله أوثق منك بما في يدك)، فلنكن فطنا في تبليغ دعوتنا، صبرا على تحمل المشاق، موقنين أن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً،
حزة على الوصيف</p>
</div>

page 1 / 2

Powered by SaphLesson 4.0

الرابط الاصيلي